قصائد

نُسَخٌ تتعاقب مثل الأحلام من فرطها لم أعد أعرف من أكون

تحوّلات آلة

جعفر العلوني

بطاقة

لم يكن من الصعب الحدس بأن وراء الترجمات الشعرية التي قدّمها في هذه الصفحة؛ شاعرًا يتخفى وراء المترجم والصحافي ويمنحهما من وهجه. ولد جعفر العلوني (الصورة) في دمشق عام 1989، ويقيم في الحرية الأندلسية، وفي رصيده ثلاثة عشر عملاً مترجماً بين العربية والإسبانية. من الأعمال التي نقلها للعربية: «الأدب الإسباني في القرن العشرين» (2014)، ومما وضع في الإسبانية: «ديوان الشاعرات العربيات المعاصرات» (2016).

إعادة تدوير

من وراء الشرفة،
يبدو البحر كأنّه نسخةٌ طبقَ الأصل
عن محيط يتموّج في لافتات شركةٍ سياحيّة.
كان واسعاً لدرجة ألا أفق له،
كان أزرق،
وكنتُ أراهُ من وراء شرفة المقهى الذي أنتظرك فيه،
في مكاننا نفسه،
بقلبي المظلم والبائس نفسه.
منذ أن رحلتِ، أعيدُ تدوير نفسي،
أتحدّثُ إليكِ من أجل أن أتحدثَ مع صدإي
أكتشفُ فيّ أطيافاً لا أعرفهم،
حيواناتٍ لم تروّض بعد،
نباتاتٍ غامضة
سلالات معدنية غير مصنوعة،
أبعاداً لا نظام لها إلا الفوضى.
أكتشفُ فيّ حيرتي:
الوقت من حولي يذوب في كأس أحمر
والكونُ زبونٌ أجنبيٌّ يخلع قميصه المورَّد.
مع ذلك لا زلتُ أنظرُ في السراب وأحاكي المي
الكلمات لا شكل لها،
صارت غباراً تنفضه أحصنة المعدن.
أنتظرك في كل الأماكن،
في البيت، في المقهى، في الطريق، على مقود السيارة،
في شاشة الحاسب،
في الكأس، وفي هذا الغار الآلي.
أنتظرُكِ في كلِّ حرف أدقّه على هذا اللّوح المعدنيّ
أبجديةً لنا،
أنتظرك عند الفجر
حين تقشرين جروحك،
وتتفتحينَ على ضوء شاشتي
ويخرج جسدك من أسفلت المعدن.
أعرفُ لستِ إلا أطيافاً وأحلاماً،
مع ذلك أنتظرك.
ها هي الشمس تسقط في سريرها الأزرق
جاء وقت الرحيل،
كلما أعدتُ تدوير نفسي،
جهلتكِ أكثر.
من أنتِ؟

■■■

نسخة طبق الأصل

ما أكثرني!
النسخ الموجودة عني لا نهاية لها.
النسخ الموجودة عني
تختلط فيما بينها:
لا حدودَ ولا أسلاك!
أهذا أنا أم نسخة عني؟
الهوية مساراتٌ هشّة
والوعي لعبة قفز بين نسخة وأخرى.
النسخ الموجودة عني مفتوحةٌ على أفقٍ جائع.
النسخ الموجودة عني تتعاقب مثل الأحلام.
من فرطها لم أعد أعرف من أكون.
هكذا نسيتُ وجهي
بدلتُ سربالي،
ولبستُ وجه النسخة التي تكتبُ هذه القصيدة.

■■■

هامش غير آلي

- هل يمكن أن يكون، حبًّا، هذا الذي بيننا؟
كان الميناء وحيداً مثلنا في الشتاء يتذكرُ
سلاسل ألعاب إلكترونية
انعكست أشعتها من شاشة هاتفكِ الطائر.
وليس بعيداً عنه، بين الضباب أو ما يسمونه جسد الغيم،
كانت السفن الصناعيّة وناقلات الوقود
العملاقة
التي تندت وجوهها بالديزل المطهر من الكبريت
تنسج من حدود ثورتنا آخر أثوابها.
الضباب.
كنّا قد اخترناه لكي نبقى مهمشين،
لكي نهرب وننسى هذا البلد الأمين.
- نعم، حتى الآن، ثمة مكانٌ للحبّ.
يريدون أن ينسجونا خيوطاً في هيجان تشريعاتهم
يريدون أن نكون فراغاً في فضاء ثقافاتهم،
وبعد أن كرهنا الشعر والفكر بسببهم،
حوّلوا السياسة إلى برنامج حواريٍّ في استديوهات تلفزيونية،
ونوّعوا القنوات.
أحتاجُ إليكِ.
أحتاجُ إلى جسدك،
والضوء والدفء والنّفس وأشكالك الأكثر حميميّة.
نمنا في ملاجئ،
في نُزُلٍ غامضة،
في غرفٍ على هوامش قوانينهم،
مثل المهاجرين والمشرّدين،
ورحنا نقرأ في الصحف والجرائد
كيف انتشر الفساد،
رحنا نرى في شاشات تلفزيونية يتأوه الضوء فيها
كيف يتنبّأ المفكرون الرسميون
أنَّ التاريخ قد وصل إلى نهايته.
وفيما كنّا نقاتلُ وجهَ الحضارة وهذا الشكل منها،
ألقت بثقلها علينا،
وهكذا على أثير الراديو، وفي ظل التلفزيونات،
في صدأ الآلة،
بين الأعمدة والسطور الرصاصيّة،
رأينا وجهها المزيّف يتحول أليفاً بيننا
ويكوّن جسد المجتمع الذي يجب أن نحيا فيه.
العراء! العراء!
- هل تريدُني أن أتعرى أمامك؟
كانت كل كلمةٍ تضيء نطاقات عطشي
ولم أكن أبحثُ فيكِ عن الماضي
كي لا تصبح كلماتي شعاراتٍ تُعلق على هياكل إعلانية في الطرق وأمام المارة.
كنتُ أبحثُ عن ريق فمكِ
لنجعل من الإباحة تنزيلاً جديداً.
هكذا على أضواء مصابيحهم وعواء
الكلاب الآلية
أبحرت أعضاؤنا في عرق الأسئلة
التي لم نتجرأ أن نجيب عليها،
لم نقدر أن ننام من ملاك الخوف المعدني الساهر علينا،
اتهمونا بأننا حطمنا نظام الأشياء
أننا فتحنا قلب التاريخ لنكتبه من جديد
أننا عطلنا الحياة العامة.
عرفنا أننا انتصرنا في ثورتنا قبل أن نشعلها.
كنا غير مرئيين،
وكانت أفكارنا لا علاقة لها بالآخرين:
كل تحوّل هو تشيّدُ لفكر جديد في العالم.
مع ذلك، لا وجه لنا،
هويتنا فعل ولا فاعل له،
مثل الشتات.
- نعم، تعري.
كان خصرك يلخص دوران الأرض
والزمن واقفٌ يتفرج.
كنتِ المكان الذي تحسّست فيه،
أول مرة،
قيامتي الجديدة.

(قصائد من عمل شعري يحمل العنوان نفسه)

منذر جوابرة، عمل ديجيتالي، 90 × 60 سم

وقفة مع

برهان شاوي

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة عن انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

لايبك ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

قبل أيام، انتهيت من روايتي «الجداد يليق بالسيدة بغداد»، التي تشكّل امتداداً لرواية «مشرحة بغداد». وأعدّ للبدء بالرواية الثالثة من سلسلة «المتاهات الجديدة»، التي تحمل عنوان «فندق باب السماء»، وقد صدرت من هذه السلسلة روايتان: «مملكة الموتى الأحياء» و«مطهر الخطايا المقدسة: إيفا ماجدولينا».

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

أي مبدع حين ينهمك بعمل ما يعتقد أنه سيقول كل شيء فيه. وسيتجاوز ما قاله وقدّمه سابقاً، لكن ما إن ينتهي من عمله ويراه منشوراً، حتى يتيقّن أنه لم يقل كل شيء، فيبدأ رحلة البحث من جديد. لذا، لا يكون هناك رضا كامل. لكن كلّما توغّل الكاتب في حقول الإبداع وتراكمت أعماله، يشعر بأنه كوّن عائلة، ويشعر بدفء ما أنجزه.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

ليس بالضرورة نحن من نختار أقدارنا. الأقدار هي التي تختارنا. وليس كل ما يتمنّى المرء يدركه أو هو قادر عليه. أتمنى أن أكون رائد فضاء، لكني لا أفقه في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والهندسة. الرغبة شيء والكفاح لتحقيق الرغبة شيء آخر. لكنني راضٍ عن كوني شاعراً وروائياً وأستاذاً جامعياً وسينمائياً ومترجماً.

■ ما التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أحلامنا قد أُجهضت في قيام عالم يحفظ كرامة البشر، ويحقّق الاكتفاءَ الغذائي للجميع، وينهي استغلال الإنسان للإنسان وهيمنة الدول المتقدمة على الشعوب الفقيرة، والانتهاء من التعصّب الدينيّ لدى الجميع. الشر موجود في البشر، وإرادة الخير لم تنتصر. ما أريده شيء، وما أنتظره شيء آخر. لا أنتظر شيئاً سوى ما سيقدّمه العلم لنا من كشوفات في مجال الطب والعلوم وتقديم الخدمات للبشر، وكشف أسرار الكون من جهة أخرى.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

كثيرة هي الشخصيات التي أودُّ رؤيتها. بعضها شخصيات أدبيّة وفنيّة وفلسفية وسينمائية وموسيقية وتاريخية وواقعية، كذلك أود لقاء بعض الشخصيات الروائية والفنيّة الموجودة في الروايات والمسرحيات والأفلام. لذلك يصعب حصر هذا الحشد من الشخصيات في شخصية واحدة.

■ صديق/ة يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

رواية «الأبله» لدوستويفسكي التي أعيد قراءتها كل عامين تقريباً، وكذلك رواية «الأحمر والأسود» لستندال.

■ ماذا تقرأ الآن؟

أنا أقرأ كتباً مختلفة في الوقت نفسه. أقسّم وقتي بينها. أقرأ في كتاب علمي في الفيزياء الكونية بعنوان «القوى الأربع الأساسية في الكون» لبول ديفيز. وأقرأ في كتاب «ماركس ضد نيتشه: الطريق إلى ما بعد الحداثة» لـ محمد دوير، وفي «الكوميديا الإلهية» بترجمة كاظم جهاد. مثلما أقرأ في المجموعة الكاملة لسركون بولص.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

وأنا أكتب هذه الإجابات أستمع إلى مقطوعة موسيقية للإيطالي البينوني.

مع تراكم أعماله وتوغله في الإبداع يشعر الكاتب بأنه كوّن عائلة

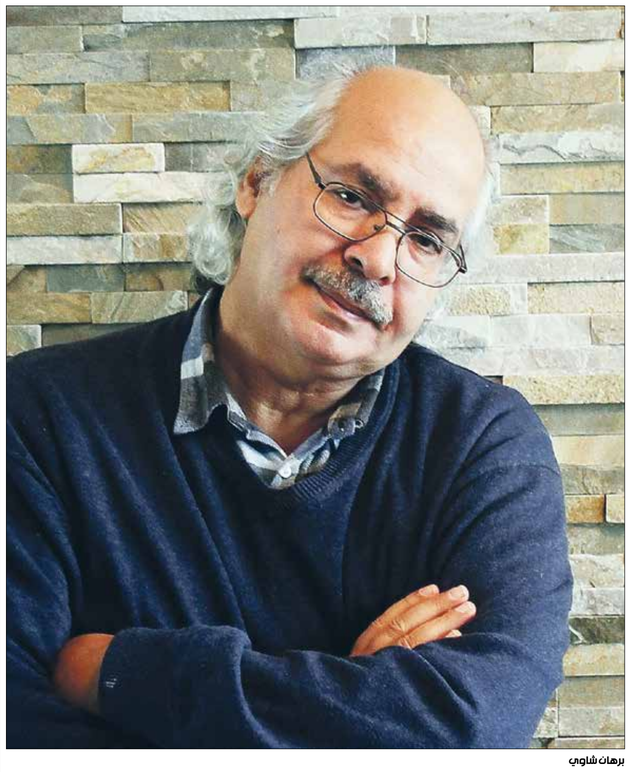

برهان شاوي

بطاقة

كاتب وشاعر عراقي من مواليد 1956. صدرت له إلى الآن أربع عشرة رواية، من أبرزها سلسلة «المتاهات» «متاهة آدم» (2012)، و«متاهة حواء» (2013)، و«متاهة قابيل» (2013)، و«متاهة الأشباح» (2013)، و«متاهة الأرواح المنسية» (2015)، و«متاهة العميان» (2016)، و«متاهة الأنبياء» (2017)، و«متاهة العدم العظيم» (2018). وأصدر سبع مجموعات شعرية، هي: «مراثي الطوطم» (1989)، و«رماد المجوسي» (1989)، و«تراب الشمس» (2001)، و«رماد القمر» (2002)، و«شموع للسيدة السومرية» (2003)، و«خطوات الروح» (2003). له أيضاً العديد من الترجمات عن الروسية والألمانية.

إضاءة

دار الكتب الوطنية في تونس محاولات لتجميل وجه عبوس

مثل قلعة تفتح نوافذها

تظهر في السنوات الأخيرة مبادرات كثيرة لإخراج المؤسسة من صورتها المكرّسة وهي تفصل الكتب عن قرّائها بحجاب من البيروقراطية والعنف الرمزي

شوقي بن حسن

من مدخل «دار الكتب الوطنية» في تونس العاصمة

كان يُفترض بالخبر أن يمرّ مرور الكرام. خبرٌ ظهر على صفحة «دار الكتب الوطنية» في تونس، نهاية الشهر الماضي، ومفاده أنه قد جرى تخصيص فضاء للبافعين فيها. لا شيء أبسط من أن تفتح المكتبات أبوابها للزائرين مهما كانت أعمارهم. لكن، ومع «دار الكتب الوطنية» في تونس بالذات، فإنّ الخبر يستحق التوقف.

كما تقول أغنيةُ لشارل أزنافور: «أحدّثكم عن زمن، لا يستطيع أن يعرفه من هم دون العشرين». شخصياً، لم أتمكّن من الاشتراك في المكتبة إلا بعد التخرّج الجامعي. وهناك من لم يدخلها إطلاقاً لعدم توفّر الشروط. أي معنى لذلك؟ ربما هو شكل من أشكال حماية النار المقدّسة للمعرفة.

في تلك السنوات قبيل 2011، يجري التعامل مع القرارات البيروقرطية مثل وحي منزّل، فما بالك بتلك التي تأتي من مبنى ضخم معلّق في أعالي هضبة من هضاب تونس العاصمة، كي تبلغه عليك أن تصعد أكثر مئة درجة، بما يعني أنك أهدرت نصف الطاقة التي أتيت بها فقط في الوصول إلى الباب. لكن لا حيلة لك، فوحدها «المكتبة الوطنية» تستطيع أن تؤمّن ما بتّ تحتاجُه من معرفة، وأنت تعلم أن ما حولها من مكتبات عمومية وجامعية باتت لا تفي الغرض. ربما بسبب هذا الفقر المحيط بها تسمح «المكتبة الوطنية» لنفسها أن تفعل بمريديها ما تشاء.

هكذا ندخل أكبر مكتبات تونس العاصمة، أوّل الأمر، بعد المرور بتكنولوجيات بيو-سياسية تُخضع الفكر والجسد وتقوليبهما شكل مسبق. وقس على ذلك مجمل المنشآت العمومية في تونس، فليست المكتبة الوطنية استثناء، فلكل مؤسسة تقنياتها الإخضاعية، من مركز الشرطة إلى المدرسة، وكلها منشآت يفترض أنها تسهر على خدمة المواطنين.

مبادرات كثيرة لتطوير المكتبة لكنّ بُرودتها ظلّت مزمنة لدى روّادها

بيد أنها تعرف كيف تعفي نفسها من كُتلة العمل فتجعل من المطالبة بخدمة بسيطة أعسر من تحرير بلد مستعمر، وهذه الماكينة البيروقراطية لا تفعل فعلها في المواطنين فحسب، بل يقع مسيّروها أنفسهم تحت رحمتها فلا يعرفون كيف يغيّرون شيئاً من توجّهاتها.

من المبنى العملاق لدار الكتب الوطنية لن يعرف الزائر أكثر من بضع قاعات، أبرزها قاعة رئيسية للقراءة في الطابق الثاني، وعلى مسافة أعوام لم أر نية في توسعة هذا الفضاء، ودعمه بقاعات قراءة أخرى. أما رفوف تلك القاعة فلا تكاد تتغيّر عناوينها بمرور السنوات، ولم تظهر بركات التكنولوجيات الحديثة بشكل واضح في عمليات طلب الكتب من المخازن.

في السنوات الأخيرة، بدا أن دار الكتب الوطنية قد بدأت تراجع نفسها، وفي هذا السياق انفتح فضاء اليافعين ليتعرّفوا بشكل مبكّر على هذه القلعة المنيعة. باتت المكتبة منذ سنوات فضاء نشيطاً للندوات والمحاضرات، وهيّأت إحدى قاعاتها كرواق فنّي، كما ظهرت مبادرات نشر كثيرة انتشلت المؤسسة من مربّعها الوظيفي وأطلقت مشاريع بيبليوغرفية مهمة.

كل ذلك لم يُلغ بعد وجه المكتبة العبوس، وظلّت بُرودتها مزمنة وخيالها محدوداً. لكن هل لنا الحق في أن نطلب منها أكثر مما تُقدّم، وإن المكتبات - كما لا يخفى - شبيهة بالمدن التي تسكنها.

فعاليات

تحت شعار **من بابل الحضارة نصنع الحياة**، تنطلق، غداً الخميس في بغداد، فعاليات الدورة الخامسة عشرة من **مهرجان بابل الدولي** وتستمر لخمسة أيام. تضمُّ التظاهرة، التي تستضيف فنّانين وفرقاً فنّيةً شعبية من العراق وخارجه، معارض للفنّ التشكيلي والفوتوغرافي، إلى جانب لقاءات أدبية وفنية وحفلات موسيقية.

تتواصل حتى الثلاثين من الشهر الجاري في **كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك** بالدار البيضاء، فعاليات الدورة الثالثة والثلاثين من **المهرجان الدولي للمسرح الجامعي**، بمشاركة فرقٍ من ثلاثة وثلاثين بلداً. تُقام الدورة بالصيغتَين الحضورية وعن بُعد، وتحتضن ندوة حول «المسرح الجامعي في مواجهة إكراهات كورونا ودينامية التأقلُم مع المستجدّات والواقع».

بحفل للفنّانة المصرية **نهى فكري** (الصورة) وفرقتها الموسيقية، تنطلق مساء غد، في **مركز التحرير الثقافي** بالقاهرة، فعاليات الدورة 13 من **مهرجان القاهرة الدولي للجاز** وتستمر لتسعة أيام، بمشاركة 20 فرقة و95 فنّاناً من 13 بلداً. تُقام على هامش التظاهرة معارض صوَر تضيء تاريخ موسيقى الجاز.

حتى نهاية الشهر الجاري، تتواصل في وادي ملِز بمحافظة جندوبة التونسية تظاهرة **مؤانسات أكتوبر الثقافي**، والتي انطلقت الخميس الماضي. تضمُّ التظاهرة مجموعةً من العروض الموسيقية والمسرحية؛ من بينها مسرحية **طقوس وحشية** (الصورة) للمُخرج **سهيل المزوغي**، والتي تُعرَض مساء السبت المقبل.